دور الأخصائـــــي الاجتماعـــــي حـــــول المراحـــــل المتعاقبـــــة للأســـــرة خـــــلال دورة حيـــــاتها

د. أبوعجيلة المبروك المدنيني ـ قسم الخدمة الاجتماعية ـ مدرسة العلوم الإنسانية الأكاديمية الليبية للدراسات العليا.

مقدمـــــــــة:

لاشك أن الأســـــــرة قد حظيت باهتمام كبير ومستمر على صعيد الجهود الدولية والوطنية منصبة على إبـــــراز أهمية الأسرة كخلية أولى لتأسيس المجتمع ، وأساس استقراره وتطوره ، وجســـــر يصل به الفرد إلى المجتمع ، وحلقة وصل بين الأنظمة الأخـــــرى ووحدة التضامن الأولى ، وأساس بناء المجتمع وتقدمه فهى التي تقدم له أثمن وأفضل عنصر من عناصر الإنتاج ألا وهـــــو الإنسان، وهذه وظيفة تنفرد بها ولم تشاركها فيها أية جهة مهما حدث عليها من تطورات وتغيرات الأمر الذي دفع بالمفكرين منذ القدم وحتى يومنا هذا إلى الاهتمام بالأسرة وشؤونها منطلقين من أنها أدق جهاز في جسم الدولة به تستقيم أمور الدولة، وتتخلص من مظاهر الفوضى والانحلال .

ومما سبق نلحظ أن الدوافع وراء تكوين الأسرة كثيرة وعلى رأسها هو المحافظة على النوع الآدمي، واستقرار النوع البشري واستمـــــراره كماً وكيفاً؛ لّيكون مجتمعا سليما خاليا من المشاكل إلى جانب دوافع أخـــــرى كاشباع الغريزة الجنسية للأفراد بالصورة الصحيحة والسليمة ، وقيام الأســـــرة بمجموعة من الوظائف يعجز الفرد على أدائها بمفرده سواء كانت بيولوجية أم اجتماعية أم اقتصادية أم غيرها حتى يومنا هذا رغم ما طرأ عليها من تطورات وتغيرات، بدءا من انتقالها من أسرة أمومية إلى أسرة أبوية أو من أسرة ذات زواج متعدد إلى زواج أحادي أو من أسرة ممتدة ذات علاقات قوية تتولى توفير القوت، والحماية من خلال تعاون داخلي لأفرادها إلى أسرة نووية مدنية بسبب التنمية، وما صاحبها من ثورة صناعية كل ذلك انعكس على أداء وظائفها التي تأثرت بمراحل دورة حياة الأسرة من مرحلة زوجين وتكوين أسرة إلى زوجين تقدما في السن مروراً بإنجاب الأطفال وتعليمهم ومتابعتهم حتى انخراطهم في العمل كما أوضحها ويلارد ولر تحت عنوان: الأسرة تفسير دينامكي ، حيث قسم

(ولـــر) تجربة الأســـــرة إلى خمس مراحل الحياة في الأســـــرة هـــــي : (أســـــرة التوجيه ، التودد والمغازلة والحب ، السنة الأولى للزواج ، الأبويـــــة ، مرحلة العش الخالـــــي) ([1])

ومن هنا جاء هذا البحث ليبيّن دور الأخصائي الاجتماعي حول المراحل المتعاقبة للأســـــرة ومسؤولياتها خلال دورة حياتها ، منطلقا من أن مهنـــــة الخدمة الاجتماعية تولي اهتمام خاص بالأســـــرة وتعتبرها إحدى مجالاتها الرئيسة، والمهمة باعتبارها نظام يؤثر في كافـــــة الأنظمة الأخـــــرى .

موضوع البحث:

تعد الأســـــرة منذ البدْء تنظيم اجتماعي طبيعي عاش الفرد في كنفه ، وسبيل لحماية النوع البشري ، واستـــمرار السلالة البشرية ، وحماية الفرد وتوفيـــــر حاجاته، ويستمر الحال كذلك رغـــــم ما تعرضت له الأســـــرة من تغيرات أثرت على تكوينها فجعلها تواجه تحديات عدة تعمل بعضها على تخطي الأســـــرة وتجاوزها، إلا أنها باءت بالفشل أي : مازالت تقوم بدورها حتى وإن شاركتها جهات أخرى كما هو الحال في العملية التعليمية ، فالأسرة مازالت تعلّم أطفالها الكلام، وستظل تقوم بوظائفها ومسؤولياتها نحو الفرد ، وتختلف بحسب مراحل دورة حياتها، وبالتالي فإن الأســـــرة مؤسسة اجتماعية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها مهما تغيرت، لها مسؤوليات كثيرة متنوعـــــة ، وفـــــق كل مرحلة من مراحل نموها سواء تلك المتعلقة بالبناء الأول لتكوين أســـــرة ، ثم أنها مدرسة الحياة الأولى فيها يتعلم الفرد النطق وأسس المعرفة ، أم هي الوعاء الذي يشـــــبع حاجات الفرد النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وجســـــر يصل به الفرد إلى المجتمع وغيرها لذا ينبغي الاهتمام بها وإجراء الدراسات حولها للوقوف على دورها وما يعترضها من مشكلات وذلك لإمكانية كشفها وعلاجها والوقاية منها من خلال توعية أفـــــرادها بالمسؤوليات التي تقع على عاتق كل فرد في الأسرة ، وإدراك كل واحد لدوره ، ومدى ترابط الأدوار وتداخلها ، وتأثير وتأثر بعضها ببعض الأمـــــر الذي يدعو إلى تكثيف الرعاية الاجتماعية للأســـــرة ؛ لذلك جاءت هذه الورقة البحثية لتهتم بجانب مهم في مجال الأســـــرة يتعلق بالمراحل المتعاقبة للأسرة خلال دورة حياتها تحت سؤال:

ما المراحل المتعاقبة للأسرة خلال دورة حياتها وما دور الأخصائي الاجتماعي ؟ ليتفرع عن هذا السؤال تساؤلات فرعية هى:

- ما عوامل تطور وظائف الأسرة؟
- ما المراحل المتعاقبة للأسرة خلال دورة حياتها ومسؤوليات كل مرحلة منها؟
- ما دور الأخصائي الاجتماعي حيال المراحل المتعاقبة للأسرة والتطورات والمسؤوليات التي حدثت خلالها ؟ .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إعطاء فكرة مختصرة عن تطور الأسرة وعواملها ووظائفها متطرقاً للوظائف التي تؤديها الأسرة، ثم تحديد المراحل والمسؤوليات المتعاقبة لها خلال دورة حياتها، وتبيان دور الأخصائي الاجتماعي تجاه مساعدة الأسرة للقيام بمسؤولياتها خلال المراحل المتعاقبة وفق دورة حياتها .

أهداف البحث:

من خلال موضوع البحث فإن الأهداف تكمن في الوقوف على عوامل تطور وظائف الأسرة، وإيضاح المراحل المتعاقبة للأســـرة خلال دورة حياتها والتطورات والمسؤوليات التي حدثت عليها، والوقوف على دور الأخصائي الاجتماعي حيال مساعدة الأسرة عبر مراحل تطورها والمسؤوليات أثناء كل مرحلة.

مصطلحات البحث:

- **مراحل دورة حياة الأســـــرة :** هي مجموعة المراحل التي تبدأ من مرحلة الخطوبة ثم الزواج وصولا إلى زوجين تقدما في السن ، مروراً بمرحلة إنجاب الأولاد وتعليمهم ، ومتابعتهم حتى انخراطهم في العمل .
- **الأخصائي الاجتماعـــــــي :** هو من تم تأهيله نظريا وعمليا وفق مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعية ومهامها؛ ليتولى مساعدة الأسرة كأحد مجالات المهنة في القيام بمسؤولياتها وفـــق المراحل المتعاقبة خلال مراحل دورة حياتها .

منهجية البحث:

استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي وهو ما يتناسب وموضوع البحث.
ومن خلال عنوان البحث وتساؤلاته وأهدافه يمكن تقسيمه للمحاور الآتية:

المحور الأول ــ عوامل تطـــــوّر وظائف الأســـــــرة:

قبل التحدث عن وظائف الأسرة وعوامل تطورها سأتطرق باختصار لتطور الأسرة حيث يتضح للمتتبع لموضوع تطور الأسرة بأن هناك الكثير من التساؤلات تدور حول ذلك تبدأ من المدى الذي تمتد إليه الأسرة، وكيف شكلها؟ وغيرها من التساؤلات ذات العلاقة، وستظهر الإجابة عن هذه التساؤلات من أن الأسرة قد مرّت بتطورات،

وتغيرات شملت : حجمها، وشكلها ، ووظائفها، وشكل الزواج، ومراسمه ونظمه ، وفي هذا المحور سأهتم بأبرز مظاهر التطور للأسرة مع ضرورة التيقن بأن هناك صعوبة في الحصول على صورة صحيحة لها حيث تتناقض الآراء حول أصول وتاريخ الأسرة الإنسانية ، إلا أن هناك اتفاق على أن (نظام المعاشـــــرة هو أقدم التجمعات البشرية حسب ما أفادة به الدراسات التحليلية) ([2])، وبالرجوع إلى أصول تاريخ الأسرة نلاحـــظ تعدد الآراء واختلافها فهناك آراء تعد مجرد أساطير لا تستند لحقائق علمية فيما (توصل العلم الاجتماعي إلى نظرية عقلية عن تطور الأسرة تستند على النظرية التطورية التي سادت القرن التاسع عشر، والفكرة الأساسية التي تقوم عليها هذه النظرية تؤكد أن الأشكال العليا للتفكير والثقافة مثلها كمثل الأشكال العليا للكائنات الحية قد نشأت بطريقة التطور عن الأشكال الدنيا) ([3]) ، وبهذا حدد تطور الأســـــرة بداية من نشأة الأســـــرة التي بدأت بمرحلة فوضى جنسية بدائية شبيهة بحالة الحيوان ، ثم الانتقال إلى زواج جماعي، ثم ظهر النظام الأمومـــي، ثم تعدد الزوجات فيه السيطرة للأب يعرف بالنظام الأبوي، ثم زواج الرجل بزوجة واحدة، إلا إن نظرية التطورتعرضت لنقد ورفض من الدراسات الحقلية المعتمدة على المنهج فقد بينت الدراسات الانثروبولوجية بأن التقسيم السابق للنظام الأسري المستند على النظرية التطورية خاطئ ، وخاصة حول الشيوعية الجنسية التي تعد صورة وهمية لا يوجد ما يثبتها كما يقول العالم الأمريكي (لـــــوى) ([4]) حتى وإن كان هناك تشابه مع بعض الأنواع العليا للحيوان كالغوريلا وغيرها ممن لها نظام أســـري ([5]) ، وبخاصة علاقة الأطفال بالآباء والكبار، فالشمبانزي يعيش في جماعات تتكون من أربعة إلى أربعة عشر فرداً من بينهم عدد من الذكور والإناث البالغين ومعهم نسلهم من صغار القردة ، فيما الغوريلا تتميز بنظام تعدد الزوجات ([6]) هذا إلى جانب تولي الأدوار مثل دور الأب في حماية الإناث والأولاد ، فيما تكمن مسؤولية الأم في التدريب. إلا أن الأسرة الإنسانية لها خصائص متأثرة بالثقافة تتحول الحقائق البيولوجية الأولية إلى علاقات اجتماعية تنمو فيها المشاعر والالتزامات للأم نحو طفلها ، كما للرجال مجموعة من الالتزامات يتمثل في دور الأب .

وبصفة عامة فالأسرة لها وظائف محددة تترك آثارها المهمة في العملية الاجتماعية واستمرار المجتمع، وهو ما أفشل محاولات الحكومة السوفيتية حول التقليل من

مسؤوليات الأســـــرة وإضعاف شأنها ، والاقتناع بأن الأسرة مؤسسة اجتماعية ضرورية لبقاء الجنس البشري واستمرار الحياة الاجتماعية.

وفسّـــــر بعضهم الأســـــرة نشأتها على أساس الغرائز أو الوراثة هي ثمرة الثقافة ، يتبين ذلك من خلال النظام الاجتماعي الذي يحدد الصلة بين أعضائها المتمثلة في الأخلاق والقانون لتكرس نظاماً اجتماعياً يبين حقوق الأفراد وواجباتهم .

كما أن الوقوف على الصورة الصحيحة لعدد أفراد الأســـــرة خلال نشأتها يعد أمراً صعباً ومستحيلاً ، إلا أن الدراسات التحليلية للأشكال الاجتماعية تبيّن لنا أن أقدم نظام للأسرة هو نظام المعاشرة الذي له ترابطات شبه أسرية من الصعب معرفة حدودها ونظامها، فالمعاشر كان يضم عدة خلايا أسرية ، وهى تختلف في عددها، ولها ترابطات شبه أسرية حتى وإن كانت ضيقة النطاق لا تعدو الرجل وبعض النساء وأطفالهم ([7]) ، وهذه المعاشر استقرت زمن طويل تحت رباط تعدد الزوجات وفي بعضها الزواج الثنائي، إلا أن هذه الترابطات " شبه الأســـــرية " تكون فيها الأم العنصر المحوري للقرابة ونسب الأبناء؛ لأن الرجال يخرجون إلى الصيد فيستغرق وقتا يجعلهم بعيدين عن أســـــرهم .

أما في نظام المجتمعات التوتمية التي اعتبرها علماء الاجتماع من أقدم مظاهر الحياة البشرية عاشت فيها الجماعات بصورة بدائية وسط أستراليا وشرقها وفي أمريكا ، وفيها كان يخلط بين الأسرة والعشيرة، يرتبط فيها الأفراد على أساس الانتماء لتوتم واحد، حيث كانت الأسرة تنسب نفسها إلى حيوانات أو طيور أو نباتات معتقدة أنها متحورة منها، وقد وصل بها الأمر إلى تقديسها وحرم لمسها وذبحها إلا في مناسبات خاصة ([8]) ، كما حرم نظام التوتم الزواج من داخـــل التوتم للقرابة كما يضنون، ومن يرغب الزواج من الذكور أو الإناث عليه البحث من خارج التوتم ، إلا أن الحال لم يستمر على وضعه ، وإنما انتقلت الأســـــرة إلى مرحلة أكثر تقدما تختلف عما كانت عليه المجتمعات التوتمية تسمى بالأسر في المجتمعات القديمة يضيق فيها الانتماء حيث نكر الأفراد انحدارهم من توتم واحد ؛ وإنما من أجداد وأصول معروفة ، ولرب الأسرة مطلق الحق في السلطة وفي استضافة من يحب للأسرة حتى وإن لم يكن من أصلاب عائلته كما يمكنه طرد من يشاء حتى وإن كان من صلبه وتسمى بالأســـــرة الأبوية، تخضع فيه الأسرة لتصرفات كبير العائلة كما كان في بلاد الرومان واليونان قديما ، فيهما تضم الأسرة جميع الأقارب والرق والأدعياء ممن تبناهم رب الأسرة ، وهذا النظام يعد مشابه عند عرب الجاهلية التي فيه الأسرة تشمل جميع أفراد العشيرة ، كما

أن هذا النظام أصبح يضيق ، وبخاصة بعد نزول الشرائع التي حاربت نظام القبول والادعاء والغاء الرق، ومنعت رب الأســـرة من التصرف إلا ممن يأتون من فراش صحيح أو عن طريق التبني في الحدود التي يقـــرها المجتمع .

وهذا التطور في نظام الأسرة انعكس على وظائفها فبدلاً من وحدة اقتصادية تنتج ما تحتاجه العشيرة ، ومن هيئة إدارية تشريعية تفض في المنازعات ، وترســـم قواعد السلوك للأفراد، وتدير شـــؤون العشيرة بواسطة مجلس آباء الأســـر، وترسم خطط الدفاع والحرص إلى جانب الإشـــراف على النشء، وتعليمهم كما هو الحال في المجتمعات التوتمية، وهذا الحال لا يختلف في أسرة العصور القديمة التي يتولى عميدها الاقتصاص للمظلوم وترأس حملات القتال ، ورحلات الصيد، والاشراف على شـــؤون الإدارة ، ورعاية قواعد العرف والعادات والانتاج والتوزيع ، ومن هناء نلحظ أن الأسرة كانت دولة صغيرة تتولى وظائف عديدة ومختلفة لا تعد مازالت نتيجة لتفاعل الأسر مع بعضها ، وما نتج عنه من ظهور للقرى ثم المدن وقيام الدولة التي سلبت من الأسرة عدة وظائف حيث استلمتها هيئات مستقلة، فالسلطة مثلا انتزعت من الأسرة وأصبحت بيد هيئات حكومية ومجالس نيابية، وكذلك الوظيفة الاقتصادية للعمال والصناع والتجار، والوظيفة الدينية التي أصبحت من اختصاص رجال الدين والتعليم وغيرها ، ورغم كل المحاولات لجعل الأسرة ترسا صغيرا في دولاب الدولة إلا أنها مازالت تحتفظ بالكثير من الوظائف رغم مشاركتها هيئات ومنظمات، وتلخص هذه الوظائف في :

1-الوظيفة البيولوجية وهى نتاج للعلاقة بين زوجين تتم وفق ضوابط يقرها المجتمع تعمل على استمرار النوع البشري ، وحفظ المجتمع من الانقراض .([9])

2-الوظيفة التربوية والتعليمية يتم من خلالها نقل التراث والتقاليد والعادات للأبناء باعتبارها الحاضنة الأولى لهم، فمنها يتعلم الكلام ، ومبادئ القراءة ، وأسلوب التعامل في الحياة .

4-الوظيفة النفسية المتعلقة باستقرار المجتمع نتيجة للراحة النفسية التي تغرسها في الأبناء بما يدعم ثقتهم بأنفسهم، ويمكنهم من الاندماج في المجتمع والمشاركة . ([10])

5-الوظيفة الاجتماعية المتمثلة في غرس العادات والتقاليد ودعم روح التعاون بين الأفراد في نجاح إدارة الأسرة والمجتمع بصفة عامة .([11]).

6-الوظيفة الاقتصادية والمتمثلة في تحقيق العيش الصحي رغم ما حدث على الأسرة من تغيرت وتحولها من أسرة منتجة إلى مستهلكة ([12]).

7-الوظيفة العاطفية تعمل على تفاعل الأفراد بداخلها بروح العطف بينهم من خلال اشباع الحميمة في العلاقات الشخصية المتبادلة ([13]).

8-الوظيفة الدينية والأخلاقية المتمثلة في غرس الأخلاق بين الأفراد.

وهذا التطور في نظام الأسرة وما أحدثه على وظائفها يرجع لعدة عدة عوامل يمكن تلخصيها في : ([14]) في العامل المورفولوجي، والعامل الاقتصادي، والعامل الثقافي والحضاري ، والمرأة وحقوقها السياسية ، والحياة المنزلية.

العامل المورفولوجـــي : المرتبط بالحياة الاجتماعية يظهر آثاره في الانتقال من الحياة المحلية إلى الحياة الاجتماعية من خلال هجرة الأفراد من الريف إلى المدن، وما ينتج عنه من نشأة للمدن ، وما يترتب عن ذلك من تغير في نوع الحياة وأسلوبها ودورها كتولي دور الحضانة والمدارس والكثير من الوظائف، والطلب على الأراضي وارتفاع أسعارها بما انعكس على تغير في المساكن بعكس ما كانت عليه في الريف، والغاء الرق وتحرر الأفراد الأمر الذي أحدث تضييقا في نطاف الأسرة وأدوارها ، كما أسهم كل ذلك في الاختلاط والاحتكاك نتيجة تطور وسائل المواصلات **العامل الاقتصـــــادي** : المتعلق بنظم الإنتاج وتطوره من نظام مغلق إلى نظام مفتوح انتقلت من خلاله الأســـــرة من وحدة منتجة ومستهلكة إلى منتجة لحساب غيرها بمعنى تطور من إنتاج استهلاكي إلى استبدالي، و- أيضاً- تحول نظام العمل إلى متجول يدفع بالأفراد إلى الغياب لفترة طويلة عن منازلهم مما ينعكس ذلك على شؤون الأسرة، ويدفع المرأة إلى دخول سوق العمل وتركها الجزئي لشـــؤون المنزل، وقصور في العناية بأطفالها ، إلى جانب ظهور ثورة صناعية تغير فيها نوع العمل وأدواته التي قد تحدث عنها إصابات للعمال يؤثر على أدوار الأفراد داخل الأســـرة متأثر بمكانة ودور الفرد داخل الأسرة، فإصابة الأب غير إصابة الابن، و- أيضاً- ما يحدث في العمل الصناعي من تجمعات قد تسهم في ظهور مشاكل صحية واجتماعية.

العامل الثقافـــــي والحضاري : يؤثـــــر في تطور مظاهر الحياة في الأســـــرة فانتشار الثقافات والحضارات وما ينتج عنهما من اختراعات أثـــرت على النظام الأسري بما أحدثه من تغير في التقاليد والعادات.

المـــرأة وحقوقها السياسية : فدخول المرأة للمدارس وحصولها على مستويات علمية عالية مكنها من التفكير والمطالبة بحقوقها ودفعها إلى التغلب على الكثير من العادات القديمة المقيدة لها .

تطور آلية الحياة المنزلية : حيث غزت فيه الآلات من تبريد وتجفيف وطهو وغسل كل نواحي الحياة الأسرية أصبحت فيه الثانويات أساسيات بما قد يدفع إلى حياة الترف والبذخ .

المحور الثاني ـ المراحل المتعاقبة للأســـــرة خـــــلال دورة حيـــــاتها، ودور الأخصائـــــي الاجتماعـــــي:

يرى الباحث عند التحدث حول دورة حياة الأســـــرة يمكن أن يتم وفقا لاستعراض عدد من الآراء حول ذلك مع الايمان بأن دورة حياة الأســـــرة متقاربة بين المجتمعات ولكنها غير نهائية ، يمكن من خلالها تبيان مراحل حياة الأســـــرة والأعباء لكل مرحلة لغرض وصف وظائف التفاعل الزواجي خلال كل مرحلة ، ومن هذه الدراسات ما يلي :([15])

أولها : (ويلارد ولر) بعنوان : الأســـــرة تغير ديناميكي من وجهة التفاعلية الرمزية حيث قسّـــــم (ولـــــر) الأسرة إلى المراحل التالية أسرة التوجيه – التودد والمغازلة والحب – السنة الأولى للزواج – الأبوية – العش الخالي .

ثانيها : (روانتري) حول دورة حياة الأســـــرة الفقيرة متأثرا بالنظرية التنموية في تقسيمه فرأى أن دورة حياة الأســـــرة تبدأ بانجاب الأطفال ، وهى فتره تتميز بفقر شديد ، تليها فترة الرخاء النسبي عندما يصبحوا الأبناء لديهم القدرة على الكسب، ثم فترة تقدم الزوجين في السن والمرتبط بمغادرة الأبناء للمسكن ليؤسسوا أسرا خاصة بهم .

ثالثها : (ســـــوركن ، وآخـــــرون) حيث قسّـــــموا مراحل دورة حياة الأســـــرة إلـــــى مرحلة زوجين لهما وجود اقتصادي مستقل ، ثـــمّ مرحلة زوجين بأطفال صغار ، ثم مرحلة زوجين بأولاد كبار يعولـــون أنفسهم ، وأخيراً مرحلة زوجين تقدما في الســـــن .

رابعها : (كيرك باتريك) ، وفق النسق التعليمي قسم دورة حياة الأســـــرة إلى أربع مراحل هي : أسرة قبل المدرسة ، وأسرة المدرسة الابتدائية ، وأسرة المدرسة الثانوية ، ثم أســـــرة البالغين .

ومع تطور فكـــــرة دورة حياة الأسرة ومع التغيرات التي تتعرض لها الأســـــرة وزيادة البحث حولها فإن ايفلين دوفال انطلقت لتوضح دورة حياة الأسرة من المهام التنموية المتوقفة على النضج الجسماني والمميزات والضغوط الثقافية، وبالتالي فكل أسرة لها مهام وواجبات مثلها مثل الفرد ووفق النظرية التنموية فإن واجبات الأســـــرة تنمو وتتعاظم مسؤولياتها وتستمر باشباع متطلباتها البيولوجية والثقافية والمطامح الشخصية والقيم، ووفقاً لذلك حددت دوفال دورة حياة الأسرة في ثماني مراحل هـــــي: (16)

1- زوجان بلا أطفال.
2- أسرة في حالة انجاب (أكبر الأطفال عمره ثلاثون شهراً) .
3- أسرة مع أطفال قبل سن المدرسة (عمر الأطفال من سنتين حتى ست سنوات)
4- أسرة مع أطفال في سن المدرسة (من 6 إلى 13سنة) .
5- أسرة مع أبناء مراهقين (من سن 13 سنة حتى 20 سنة) .
6- أسرة النشاط الحر (من أول ابن يغادر المنزل حتى آخر ابن يغادره) .
7- زوجان في منتصف العمر (مرحلة العش الخاوي إلى المعاش) .
8- زوجان متقدمان في السن (من سن الإحالة إلى المعاش ختى الموت لكليهما)

ورغم التشابه بين المراحل إلا أنها لا تعد نهائية وواحدة في كل المجتمعات فهي تمتاز بالتداخل، إلا أن لكل مرحلة أعباؤها كمهام وواجبات ينبغي على الأخصائي الاجتماعي إدراكها.

وانطلاقاً من ما تقدم وبخاصة حول ما تناولته الآراء المشار إليها سلفاً ومن أن الخدمة الاجتماعية مهنة تلعب دوراً مهماً في دعم الأســـــرة فإن الأخصائي الاجتماعي وما اكتسبه من معلومات ومعارف ومهارات وقيم الخدمة الاجتماعية في فترات إعداده النظري والعملي وحتى يكون قادراً على التدخل حول مراحل الأسرة المتعاقبة والمسؤوليات المترتبة خلال دورة حياتها ، وتحديد ما ينبغي القيام به لدعمها فإن الاطلاع على مراحل دورة حياة الأسرة وما يترتب عليها من مسؤوليات وأن ينطلق من أهداف تحدد استراتيجيات تمكن الأخصائي الاجتماعي من مساعدة الأسرة في تأدية مسؤولياتها أثناء مراحل دورة حياتها كاستراتيجية الاقناع التي تقوم على مبدأين التعاون والاتفاق، واستراتيجية الضغط التي تنطلق من فرضية الصراع، واستراتيجية المشاركة في فهم ووضع الحلول وتنفيذها، ولكي ينجح الأخصائي الاجتماعي في الاستفادة من الاستراتيجيات المذكورة فعليه ضرورة إدراك أن التفاعل الاجتماعي يتضمن مجموعة

كاملة من العمليات التي تحدث بين الأفراد داخل الأسرة وخارجها وفقاً لمستويين كما حددهما (جورج هربرت) ، بيد أن المحادثة بالإشارة واستخدام رموز لها دلالة ، أطلق عليها (بلومر) على التوالي بالتفاعل غير الرمـــزي، والتفاعل الرمزي . ([17])

.

وإن الاندماج بين الأفـــراد داخل الأسرة يتم في تفاعل غير رمـــزي يتضح من خلال حركات الآخرين الجسمانية وتعبيراتهم ونبرات أصواتهم ، وإن الكثير من التفاعلات تكون على المستوى الرمزي ويظهر في فهم معنى فعل كل منهم على المستوى الزواجي والأبوي أو أي سلوك اجتماعي آخر، ويتوقف عنصر الاستجابة على مدى اشتراك المعنى بين الأشخاص المتفاعلين الذي يظهر من خلال المركز الذي قد يكون موروث كالجنس أو مكتسب كما هو الحال في المركز الزواجي أو المهني ، والدور الذي يبينه سلوك الفرد من خلال توقعات تنمي التفاعل، وتضفي وصفاً لعمليات السلوك التعاوني بما يتناسب مع ما يفعلوه الأخرون، وبالتالي فإن المفهوم التفاعلي للأسرة كما تبينه نظرية التفاعل الرمزي يرتكز على مدى ادراك الفرد لتوقعات الدور وتحديده المرتبط بأعضاء الجماعة ، وهذا قد يكشف لنا مدى أهمية تحليل التفاعلات بين أعضاء الأسرة في دراسة الأسرة ، ودور المراكز داخلها باعتبارها تبين عمليات الاتصال والصراع وما يترتب عليها من مظاهر تعمل على تفاعل الأسرة ، الذي قد يحدث التغير في نسق الأسرة وأنماط تفاعلها مع مرور الزمن كما تذكر نظرية نمو الأسرة التي تبرز عامل الزمن في تحليلاتها الذي أسهم فيما يعرف بدورة حياة الأسرة. وبالعودة إلى تقسيمات مراحل تطور حياة الأسرة واستناداً على ذلك وبالنظر لأهداف الخدمة الاجتماعية العلاجية والوقائية والانمائية فإن أدوار الأخصائي الاجتماعي حول مراحل تطور الأسرة والمسؤوليات المتعاقبة عليها خلال دورة حياتها تعتمد على وصف وظائف التفاعل الزواجي خلال مراحل النمو المختلفة كما تم سرده سابقاً ، والذي يمكن إيضاحه وفق دورة حياة الأسرة في مجتمعنا حتى وإن ظهر هناك تقارب وتشابه مع التقسيمات التي تم التحدث عنها سلفاً ، ومع الأخذ في الاعتبار أن مراحل دورة حياة الأسرة متصلة يصعب معها تحديد بداية أية مرحلة ونهايتها ، ومستفيداً من أدوار الأخصائي الاجتماعي بالمجال الأسري كمرشد ومفسر وموضح ومساعد ومعالج ووسيط ومخطط ([18]) ، ومسترشداً بنظريات الدور والتفاعلية الرمزية ونمو الأسرة يمكن تبيان دور الأخصائي الاجتماعي وفق مراحل دورة حياة الأسرة التالية متطرقا لعمليات الاختيار للزواج بالمجتمعات العربية التي تتأثر بالطبقة الاجتماعية التي ينتمي

لها المقبلون للزواج من الطرفين كما أن درجة حرية اختيار الزواج تتفاوت وتختلف من طبقة لأخرى فنجد الأفراد في الفئات العليا يؤمنون بضرورة تبادل الحب بعد التعارف على الأقل قبل الزواج ([19])، وربما يرجع لفرصة تلقي العلم للفتاة إلى جانب الشاب في عدد من ميادين التعليم، وفرصة العمل التي تجمع الجنسين والتي يراع فيها موافقة الوالدين المتأثرة باسم العائلة والأسرة والمستوى الاقتصادي ، وهذا يعد أقل في الطبقة المتوسطة من المجتمع التي مازالت تحتفظ برأي الوالدين والزواج من الأقارب، فيما هناك تفاوت بسيط داخل الوطن العربي في الريف حول اختيار الزوجة ففي بعض الأرياف يتم زواج الابن من خارج القبيلة أو من قبيلة أقل منها مكانة إلا أنها جميعها تمر بمراحل حتى وإن اختلفت في الآلية، فلكل منها خصوصية في المسؤوليات تحتم على الأخصائي الاجتماعي ادراكها وهذه المراحل هي : ([20])

1- مرحلة الخطوبة : وهى مرحلة موجودة في كل المجتمعات حتى وإن اختلفت في الشكل، فهي مرحلة تحضيرية تهدف إلى توثيق العلاقات بين أسرتي المقبلين على الزواج يركز فيها على أسس الحياة الزوجية، يتم فيها تقديم خاتم الخطبة كتعبير لرغبة في اتمام الزواج، وعادة ما تكون من معدن الفضة أوالذهب أو الماس حسب طبقة العروسين، وهنا يكون دور الأخصائي الاجتماعي المبين المنبه لصعوبة المرحلة وأهميتها في استقرار الحياة الزوجية باعتبارها مرحلة ترتكز عليها بقية المراحل وأساس لبناء أسرة على قدر كبير من التوافق، وأيضا المرشد للمقبلين على الزواج بأصول الزواج وشروطه ومراحله ، وكذلك الموجه لأسس الاختيار وفقا للتشريعات السموية والوضعية في هذا الشأن من خلال استراتيجية الاقناع .

2- مرحلة التعاقد: وهي مرحلة تبنى على مرحلة الخطوبة وفي الغالب تنجح بنجاحها ، وهى فترة بدء الحياة الزوجية ، ومرحلة إنشاء وتعاشر بين الزوجين يصحح فيها كل منهما التصور المثالي المرسوم في رأس كل منهما وفقا للواقع الذي يكشف لهما حقائق لم تكن ظاهرة قبل ذلك ، وهنا يكون دور الأخصائي الاجتماعي مختلفا بعض الشئ عن دوره في مرحلة الخطوبة نتيجة لاختلاف المواقف والظروف المحاطة، فيبدأ من أن الحياة الأسرية أساس لاستقرار المجتمع مبيناً ما يشوبها من مشكلات لا تخلو منها أية أسرة منطلقا من أن الأسرة هى بناء متفاعل يؤدّي وظائف مستقبلية تحتم عليهم ضرورة التكيف وامتصاص التوتر كما تبين النظرية البنائية الوظيفية والمرشد لأهمية انضباط الزوجين حول تفسير التفاعلات والمعاني المشتركة التي تعد لُب السلوك الزواجي والأسري كما في النظرية التفاعلية الرمزية .

3- **مرحلة الإنجاب :** وهى مرحلة الحياة الأسرية فيها يبدأ الفهم الصحيح لهذه الحياة والقبول بالواقع ، وادراك الزوجين لمسؤولياتهما وأدوارهما بغية منهما في الاستقرار من خلال توظيف ظهور المشاعر الجديدة المدعومة بالأبوة والأمومة نحو توفير احتياجات الأسرة من سكن وميزانية أمام إنجاب الأطفال وحتى ما قبل سن المدرسة، وما تتطلبه هذه الشريحة من احتياجات ومتطلبات كتدريب الأطفال على تحمل المسؤولية والشجاعة والاعتماد على النفس ([21]) ثم شريحة أطفال سن المدرسة وما يتطلبه من علاقات تفاعل وتحصيل دراسي مع المجتمع المدرسي تظهر في صورة نشاط عقلي، ثم شريحة سن المراهقة حيث تتضاعف المسؤوليات للزوجين نتيجة لشعور المراهق بالتحرر، وما يحتاجه من أسلوب في التعامل مدعوماً بالضبط الاجتماعي ، وهنا على الأخصائي الاجتماعي ضرورة إدراك هذه المرحلة مرحلة الإنجاب والتطورات التي تطرأ على الأسرة من تغيرات على سن الأطفال ومتطلباتهم عند القيام بدورهم ، وما يتطلبه منه حيال ترشيد الزوجين والأبناء وتبيان دور كل منهما تجاه الآخر، وتنبيه الزوحين لما قد يحدث خلال التعامل مع هذه الشرائح ، وما تطلبه كل شريحة وصولا بهم إلى أهمية التفاعلات في إحداث انسجام داخل الأسرة وخارجها مع البيئة المحاطة ، ودور هذه التفاعلات في الحصول على الخدمات التي تشبع احتياجات أفراد الأسرة بحيث يكون دور الأخصائي الاجتماعي المدافع والمتحدث عن حقوق الأسرة أمام الجهات العامة والخاصة .

4- مرحلة الاستقرار والسكون : وهى مرحلة يكبر فيها الأولاد ويستطيعون الاعتماد على أنفسهم من خلال الدخول في معترك الحياة والعمل، وهنا تقل فيها الأعباء على عاتق الزوجين ويحسان بطعم الراحة والنشاط الحر من خلال ما غرساه، وفي هذه المرحلة قد تحدث خلافات بين الوالدين والأبناء يسمى صراع الأجيال قد تصل إلى القطيعة مما يثير الغضب عند الوالدين نتيجة لتمسك بالقديم من قبل الوالدين والتطلع نحو الجديد من قبل الأبناء، هنا يكون دور الأخصائي الاجتماعي المبين للاختلافات والكاشف للأسبابها والموضح لتفسيراتها الخاطئة من البعض داخل الأسرة، وتبيان أثرالتدخلات من الخارج ليكون منبها لذلك وفق التشريعات السماوية والوضعية معتمداً على استراتيجيات مشاركة أفراد الأسرة في فهم المشكلة ومسبباتها والحل، ودفعهم إلى الاقتناع ، وقد يلجأ إلى الضغط .

5- مرحلة كبر الأبناء والشيخوخة : وفيها يتم خروج الأبناء من الأســـرة والتوجيه إلى أســـرة النواة "الجديدة" ، والبحث عن العمل، والانشغال به، مما قد يدفع بالأبناء

أحياناً إلى الابتعاد عن أسرة التوجيه "الوالدين " اللذين يدفعهما إلى الاحساس بالشيخوخة، وخاصة مع قدوم حفيدهما الأول وفي كل الاحوال تتغير الظروف لكلا الأسرتين التوجيه والنواة وتختلفا الظروف بينهما أحداهما يحس بالوحدانية كما الحال في أسرة التوجيه، والثانية في السعي في توفير متطلبات الحياة الجديدة من متطلبات كالسكن مثلا الذي قد يدفع عدم الحصول عليه من قبل أسرة النواة مما يضطرها للرجوع لأسرة التوجيه للسكن معها مما قد يسبب في ظهور صراع بين الام ذات العقلية القديمة ، وزوجة الابن المتطلعة، وينبغي على الأخصائي الاجتماعي ادراك حساسية هذه المرحلة بسبب الاختلاف في العمر، والصراع الأسري، ثم عليه تبيان ذلك محددا الأسباب مشاركا الطرفين في فهم المشكلة ومسبباتها ، وما يترتب عنها من مشكلات، وإقناع الأسرتين بما يجب فعله من كليهما، وإيصال احتياجاتهما للجهات المعنية ، والدفاع عنهما أمام المسؤولين .

6- مرحلة الترمل وهى مرحلة النهاية المؤلمة : فيها يتوفى أحد الزوجين فتترتب عنها مشكلات ، وبخاصة عند وفاة الزوج، حيث يصعب على النساء المتقدمات في العمر من الزواج مرة أخرى ، مع استعداد الأبناء للزواج والعمل ، وأحيانا قد يجبرون على ترك المنزل إما للعمل وإما جراء اختلافات بين زوجة الابن وأمه ، وأما في حالة عجز الزوجة أو وفاتها يبدأ الزوج في السعى لزوجة أخرى وقد يجد معارضة من الأبناء ، وبخاصة في حالة بقاء الأم على قيد الحياة ، وهنا على الأخصائي الاجتماعي تفهم الموقفين " موقف وفاة الزوج وموقف وفاة الزوجة أو عجزها " ، والقيام بدور المبين للظروف والمشكلات التي تواجه أحد الموقفين، وأسبابها لأفراد الأسرة سعياً لاقناعهم وترشيدهم بالرجوع إلى التشريعات السماوية والوضعية حيال ذلك معتمدا على استراتيجيات المشاركة والاقناع والضغط أحياناً .

الخاتمـــــة :

جاء هذا البحث ليهتم بمراحل دورة حياة الأسرة ، ودور الأخصائي الاجتماعي حيالها وتم التوصل فيه إلى أن:

1- الأسرة تنظيم اجتماعي يعمل على حماية النوع البشري ويعمل على استمرار السلالة البشرية .
2- الأسرة جسر يصل بالفرد إلى المجتمع ، وحلقة وصل بين الأنظمة الأخرى كالاقتصادية والاجتماعية .

3- وظائف الأسرة بيولوجية وتربوية تعليمية، ونفسية واجتماعية واقتصادية ، وعاطفية ودينية وأخلاقية .

4- عوامل تطور وظائف الأسرة مورفولوجية واقتصادية وثقافية وحضارية ، إلى جانب وعي المرأة بحقوقها ، وتطور آلية الحياة المنزلية .

5- هناك عدة آراء تناولت مراحل حياة الأسرة والأعباء خلال كل مرحلة ، منها آراء (ولـــــر) ، و(سوركـــــن) ، و(دوفال) وغيرهم .

6- المراحل المتعاقبة للأســـــرة خلال دورة حياتها تكمن في مرحلة الخطوبة ، والتعاقد، والإنجاب، والاستقرار والسكون، وكبر الأبناء والشيخوخة ثم مرحلة الترمل .

7- تختلف مسؤوليات كل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة رغم ترابطها ، فينبغي على الأخصائي الاجتماعي ادراك ذلك .

8- من أدوار الأخصائي الاجتماعي خلال مراحل دورة حياة الأسرة المرشد والمفسر والموضح والمساعد والمخطط ، وتتم هذه الأدوار وفق استراتيجية الاقناع والمشاركة والضغط .

ويوصي الباحث بالآتي :

- الاهتمام بالأسرة ودعمها باعتبارها حلقة وصل بين الأنظمة الأخرى.
- على الأخصائي الاجتماعي إدراك أن لكل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة خصوصياتها على الرغم من تشابهها وتداخلها .
- إجراء الدراسات حول مسؤوليات الأسرة خلال مراحل دورة حياتها .

الهوامـــــش :

[1] - سناء الخولي . الزواج والعلاقات الأسرية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ب. ت ص132 .

[2] - مصطفى الخشاب . دراسات في علم الاجتماع العائلي ، الاسكندرية ، دار النهضة العربية ، 1981 م ، ص49.

[3] - ينظر محمود حسن . الأسرة ومشكلاتها ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1981 م ، ص2، 3 .

[4]- زكريا إبراهيم . الزواج والاستقرار النفسي ، مكتبة مصر ، ص89 .. ينظر محمود حسن . المرجع نفسه ، ص3.

[5]- ينظر محمود حسن . المرجع نفسه ، ص ص3-4 .

[6] - ينظر محمود حسن . المرجع نفسه ، ص ص3-4 .

[7]- مصطفى الخشاب . دراسات في الاجتماع العائلي ، بيروت ، دار التهضة العربية للطباعة والنشر ، 1981 م ، ص49 .

[8]- مصطفى الخشاب . المرجع نفسه ص50.

[9]- ينظر ناديه بعبيع . أهمية الرعاية الوالدية في نمو وتطور شخصية الفرد ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة قسنطينه ، 2003 م ، العدد 19 ، الجزائر ص92.

10- ينظر ناديه بعبيع . المرجع نفسه ، ص95 .

[11] - ينظر محمد لبيب اللجيجي . الأسس الاجتماعية للتربية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1981 م ، ط3 ، س38 .

[12]- أمل عباس محمد . تغير بنية ووظائف الأسرة السودانية ، دراسة ميدانية ، 2003 م .طفى الخشاب . المرجع نفسه ، ص50 .

[13] - سناء الخولي . مرجع سابق ، ص78.

[14] - ينظر مصطفى الخشاب . مرجع سابق ، ص63-66 .

[15] - ينظر سناء الخولي . مرجع سابق ، ص 132-135.

[16] - سناء الخولي . المرجع نفسه ، ص140 .

[17] - B lumer Op.Cit .p .8 ينظر سناء الخولي مرجع سابق ص 130 .

[18]- سماح سالم سالم و نجلاء محمد صالح . مقدمة في الخدمة الاجتماعية ، الأردن ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 2012 م ص 265.

[19]- حسين عبدالحميد رشوان . الأسرة والمجتمع ، دراسة في علم اجتماع الأسرة ، الأسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 2003 م ، ص79.

[20]- ينظر مصطفى الخشاب ، مرجع سابق ص 79 – 83 .

[21] - حسين عبدالحميد رشوان . مرجع سابق ، ص82..